تشربوا غير بولكم ولن تأكلوا سوى الحصى . لا هاها انكم لن تنظروا ابداً نساءكم . فارتعدوا في جلودكم جلود الخنازير . لا هاها ستكونون بعد حين لحماً منتناً وستأتي وحوش الصحراء وتأكل جثثكم الخبيثة . لا ها ها! لا ها ها! وألوف من امثال هذه الانغام الحربية اللطيفة . . . . . .

صاحب الحمير

حدث ان قروياً من البوير ركب عربة يقودها عشرة حمير وكان قاصداً الى جوهنسبورج فأدركه الليل فحط رحله على مقربة من نهر وقد استيقظ على أثر ضجة غريبة فألفى سبعاً قد اختطف أحد الحمير وابتعد به نحو خمس عشرة ياردة عن الآخر فرماه برصاصة أردته . وما هي الا لحظة حتى جاءت لبوءة مزمجرة تكفكف يديها لاغتياله فأرداها برصاصة أخرى وهي على بعد عشر ياردات منه ثم شرع يتفقد حميره التي فرت تلقاء هذا الخطر من الوحوش الكاسرة وبعد أن سار نصف ساعة شاهد ثلاثة سباع تفترس أحد حميره فسدد اليها بندقيته فقتل اثنين منها وأصاب الثالث بجرح ووجد في صباح اليوم التالي مقتولا وهكذا يكون هذا القروي قد قتل خمسة سباع في أقل من ساعة من الزمن

لذة الالم

لحضرة الكاتب الفاضل صاحب التوقيع

أرأيت ، ثم رأيت ، في العالم من يستعذب الألم ويسر به ويعده حسنة من حسنات الأيام السوداء المتنكرة ؟

انك اذا قلبت الطرف في جميع النواحي ، لا تجدن هذا الانسان المفقود الا اذا لامست نفسه الحائرة الكبيرة ، وضربت في أرجائها وجلت في مفاوزها فلا تجد فيها فلذة تنكبها الالم ومع هذا تراها مشروحة ساخرة بهذا الالم المتجمع غير متسخطة .

وانت اذا بحثت عن السر الغريب في هذا ، تصادفه في أنها نفس كبيرة ، أكبر من الالم فهي لاتستشعره ولا تحسب له عندها وجوداً لانها توالي معالجته دائماً بقوتها الكامنة فيها ، وعناصرها الجلد والسخرية وعدم الاستخذاء.

واذا ما طمعت في استكناه هذا السر ، فارجع إلى تحليل النفوس ثم اطرح غيرها أمامك على المشرحة فانك ظافر لا محالة بادراك هذا السر الغامض في لذة الالم . واني لمنبئك به في ايجاز لتكون من العالمين .

من الناس من تأخذهم العزة الباطلة والزهو فاذا ما أصابهم عارض بسيط هرعوا إلى الطبيب وعالجوه بمختلف العقاقير وأصبحوا خوف العلة في علة فيكون مثلهم مثل ذلك الذي يكتنز الاموال ضانا بها على نفسه خشية الخصاصة وهو الذي يقول فيه أبو الطيب المتنبي :

ومن يجمع الاموال في غير حاجة
مخافة فقر فالذي فعل الفقر

قلب الطرف مرة أخرى وفتش في حنايا نفوس المترفين والمس جنوبهم تجد أن منهم من تقض مضجعه ورقة الآس اذا كانت على فراشه الوثير فيتألم ثم تجد من جهة أخرى بعض الناس اقض بهم الألم المضاجع ومع هذا فهم يستعذبونه لانهم يسخرون بالالم مهما كانت صدمته قوية ، لذلك فهو لا يجد مكاناً صالحاً بين نفوسهم

هل تجد ألماً أوقع في النفوس وأقوى أثراً فيها من البؤس ؟

ليس البائس هو الذي تراه في اسمال بالية ينتعل الدم ويتأدم (بالخشاش) ان اصابه ويسعى في مناكب الارض ملتمساً من ضيقه مخرجاً وقد يبيت على الطوى تنأكل أحشاؤه بعضها وهي تتلوى على نفسها وتشد أهدابه النجوم وهو يتوسد الغبراء ويلتحف السماء.

نعم ليس هذا هو البائس ، وان يكنه ، فهو الذي يتألم ذلك الالم الصارخ ، يتوزع نفسه ، ولكن البائس هو الذي يشعر بالالم فيبسم دون أن تتغضن أساريره أو يبدو عليه شيء من الأسى

انما البائس هو ذاك الذي تراه باسماً أبداً، والالم الفعلي يجدّ في نفسه . تراه في بزة حسنة ، ووجه هاش باش، ولو انه كشف لك عن قلبه لرأيت التقطع قد صابه في كل مكان وسال على جوانبه الدم، ومع هذا فهو في لذة لا يشعر بها المنعمون

اتدري لماذا يستشعر هذه اللذة ويبسم لهذا الالم ؟

هذا لأنه يضحك على الحظ الاعمى، علا من دونه وسبقه في الحياة من يمشي على مهل، تقدمه أولئك الذين لم يصيبوا حظاً من العلم ونباهة الذكر، ولكن الحظ جرى وراءهم فأصابهم وقعد بأولئك الذين توفرت فيهم جميع المميزات والكفايات

أفلا ترى أن هؤلاء يتألمون حقاً ولكنهم يستعذبون هذا الالم لأنهم أدرى بأقدار نفوسهم ومكانها من المجتمع ؟ أفلا ترى كيف هم يضحكون لهذا الجد العاثر؟ يضحكون وهم يرون أولئك الاغرار في نعيم وهم من الحياة في جحيم تلظى ولكنها عليهم برد وسلام ؟

وهل من لذة أوقع في النفوس وأدعى إلى التسلية من أن ترى البغاث قد استنسرت وأن ترى الفسور كالبغاث ، وأن ترى الحمار يزين باللجين ، وان ترى الانسان عاطلا ، بل هل من ألم يضحك أكثر مما يضحكك قول الشاعر:

تموت الأسد في الغابات جوعاً ولحم الضأن تأكله الكلاب

إيه أيها الالم اللذيذ ! اضرب في أنحاء نفسي وتوزع قلبي واملأه مرارة عذبة انتي أستصرخك أيها الالم اللذيذ العذب أن لا تبرح مكانك من نفسي ، فأنت عزائي الذي يسليني في هموم الدنيا وانكاد الحياة .

انني لا أحسد المنعمين المترفين لما هم فيه من بسطة عيش وسعة في الرزق ولكنني احسد ذوي الكفاف والخصاصة من المكدودين . فالاولون الذين لا أحسدهم قد فقدوا لذة الحياة لأنهم لا يعرفون الالم ويتفادون منه بكل وسيلة ، واحسد الآخرين من ذوي الكفاية لأنهم لا يستزيدون أنفسهم ألماً .

واني وان كان الالم قد وجد مني أرضاً خصبة فانبت في اعماق نفسي نباتاً طيباً فاني لأراني أطلب منه المزيد أغرق في ضحكي للجدود العواثر

ألا فزدني ألماً أيها الالم اللذيذ ! . . . . .

القاهرة — محمود عصمت